

إشكالية ترجمة المصطلح في البحوث السيميائية العربية الراهنة

رشيد بن مالك

جامعة تلمسان

مقدمة منهجية:

سنسعى في هذه المداخلة إلى فحص إشكالية ترجمة المصطلح في البحوث السيميائية العربية الراهنة وصياغة بعض الحلول لتجاوز التضارب الموجود بين الدارسين انطلاقاً من البحوث الآتية:

- بيار جيرو ، علم الإشارة ، السيميولوجيا ، ترجمه عن الفرنسية الدكتور منذر عياشي ، ط 1 ، دمشق ، دار طلاس ، 1988..

- بيار غيرو ، السيمياء ، ترجمة أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت ، باريس، الطبعة الأولى ، 1984.

-Pierre Guiraud, La sémiologie, P.U.F, Paris, 1973.

-آن إينو ، مراهنات دراسة الدلالات اللغوية ، ترجمة د.أوديت بتيت ود.خليل أحمد ، دار السؤال للطباعة و النشر ، دمشق ، 1980.

-Anne Hénault, Les enjeux de la sémiotique, P.U.F, Paris, 1993.

- د.سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، منشورات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، 1984.

إن الوقوف عند بعض المصطلحات يركز أساساً على ضبط مفاهيمها في اللغة الأصلية و التحقق، أولاً، من توافقها مع الإحالات الدلالية في اللغة الهدف، والنظر ، ثانياً، فيما إذا كان استعمال هذه المصطلحات مطرداً أم أنه يشكل خرقاً لما هو جار به العمل في البحوث السيميائية الراهنة.

من الواضح أن كتاب السيميولوجيا لبيار جيرو يشكل دراسة متميزة في التفكير السيميولوجي المعاصر من حيث التأريخ للحركة السيميولوجية و ضبط التيارات التي تتضوي تحتها. من هذه الناحية ، نعتبره نقطة معلية للبحوث السيميائية

الراهنة و خلفية علمية أساسية لكل قارئ يطمح إلى امتلاك المبادئ الأولية في هذه المعرفة الجديدة. من هنا تبدو ترجمته ضرورية في الوضع الراهن للبحث.

إن الترجمة التي قدمها أنطوان أبو زيد [1984] و منذر عياشي [1988] تعد مغامرة صعبة لاعتبارات عديدة. أولها: بلقد ظهرت هذه الترجمة في ظروف عصيبة جدا لم تكن تساعد في جميع الحالات على تبليغ هذه المعرفة حيال التيار التقليدي الذي عمل إفشال كل مسعى يدعو إلى التفكير الجاد فيما يطرح من إشكالات علمية. ثانيها: إن القارئ العربي لم يكن مهيبا لتلقي هذه المعرفة التي ترتعن في وجودها إلى منظومة علمية مدروسة سلفا في ضوء المستجدات العلمية. ثالثها: إن البحث السيميولوجي العربي في الثمانينات كان في بدايته، و حتى المصطلحية المعتمدة في هذا التوجه الجديد لم ترق لتشكّل خطابا علميا موحدا يستمد مكوناته من التحري البحثي الجماعي. وقد أثر هذا الوضع سلبا في عملية تلقي المعرفة السيميولوجية. رابعها: إن هذه الترجمة تعد من المحاولات الأولى في الممارسات النقدية، و هي على هذا الأساس وكأي جديد فإنه يلقى مقاومة عنيفة من أولئك الذين يعملون على تكريس الجمود في الفكر. بالإضافة إلى ذلك، كانت الساحة النقدية تقتصر إلى نماذج علمية سابقة عليها. و مع ذلك، فإن هذه الترجمة كان لأصحابها الفضل في تنبيه القارئ العربي بالقفزة النوعية التي حققها الآخر وتحريضه على ضرورة الاطلاع على النتائج العلمية الهامة التي حققها.

إن أول ملاحظة يمكن أن نقيدها بخصوص ترجمة كتاب بيير غيرو هو أن الدكتور منذر عياشي ترجم هذا الكتاب بقطع النظر عن الجهود التي بذلها الأستاذ أنطوان أبو زيد في نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية [1984]. و كان من الممكن جدا أن يستفيد من ترجمته و من الطريقة التي سخرها في نقل المصطلحية السيميولوجية. إن أول صدمة يتلقاها القارئ بدءا من العنوان هذا التضارب المصطلحي بخصوص نقل

مصطلح sémiologie :

أنطوان أبو زيد: السيمياء

منذر عياشي: علم الإشارة، السيميولوجيا.

ينبغي أن نتساءل في هذا المقام عن التبريرات المنهجية التي تقف وراء اختيار السيمياء كمقابل لـ sémiologie و sémiotique ؟ فهو يحتفظ منذ البداية بترجمة واحدة: السيمياء.

إن هذين المصطلحين "يغطيان نفس المضمار. فالأوروبيون يسلمون بالتسمية الأولى، بينما يتمسك الأنكلوساكسونيون بالثانية" (1). و يبدو أن أوسوالد ديكر و ترفيطان تودوروف في كتابهما الجماعي الموسوم: القاموس الموسوعي في نظرية

الكلام ارتكزا على هذه المقولة البارثية للقول بأن التسميتين مترادفتان وتحيلان على ممارسة علمية واحدة:

" La sémiotique (ou sémiologie) est la science des signes "

"السيميائية (أو السيميولوجيا) هي علم الدلائل" (2)
تأسيسا على هذا التعريف بنى الأستاذ منذر عياشي ترجمته للسيميولوجيا لبيار جيرو: علم الإشارة/السيميولوجيا. إن قراءة متأنية للعنوان المترجم تقودنا للقول بأن تصدير الكتاب بعنوانين [ترجمتان مختلفتان لمصطلح واحد بحيث يحتوي الأول (علم الإشارة) الثاني (السيميولوجيا)] يوحي بتردد الباحث في أثناء الترجمة بين مصطلحين: هل يترجم التعريف الذي تحيل عليه الممارسة العلمية أم أنه يجنح إلى ترجمة المصطلح وفضل في النهاية أن يترجم تعريف السيميولوجيا [علم الإشارة] على أن يلحقه بتعريب المصطلح [السيميولوجيا] حتى لا يلتبس الأمر على القارئ.

وإذا دققنا النظر في ترجمة هذا الكتاب ككل، يمكن أن نلاحظ أن تقديم الأستاذ مازن الوعر الذي يتصدر الترجمة تضمن مصطلحات كنت أتوقع في البداية أنها مشتركة بينه وبين الأستاذ منذر عياشي، وكنت مقتنعا أيضا بأن هذه المقدمة ستعكس الإرهافات الأولى للبحوث الجماعية العربية فتحقق الحد الأدنى من الاتفاق على الأقل بخصوص المصطلحات الأساسية. ويكفي أن نقرأ مقطعا من النصين لتتأكد من وجود الاختلافات الجوهرية بينهما:

مازن الوعر: sémiologie/علم السيميولوجيا système/نظام (ص.13)،
sémiotique / سيميولوجيا (ص.10).

منذر عياشي: sémiologie/ علم الإشارة، السيميولوجيا système/ نسق (ص.23)،
sémiotique/ سيميائية (ص.24).

و إذا انتقلنا إلى الكتاب الموسوم مرهانات دراسة الدلالات اللغوية، (3) فإن أول إشكال يواجه القارئ يتمثل في الالتباس الحاصل من ترجمة العنوان:

Les enjeux de la sémiotique (4).

حتى نتأكد من صحة هذه الترجمة، سننتقل من اللغة الهدف إلى اللغة الأصل:
مرهانات دراسة الدلالات اللغوية

Les enjeux de l'étude des significations linguistiques .

إن الترجمة في هذا المقام غير مستقيمة. ولتفادي هذه المشكلة ينبغي أن نعيد النظر في هذه الترجمة. ونميل في هذا المقام إلى استعمال مصطلح السيميائية كمقابل لـ sémiotique لشيوعه في الدراسات السيميائية العربية أولا، وللدلالة /السيمياء/ على العلامة في المعاجم العربية القديمة (5). وتكون السيميائية العلم الذي يعنى بالعلامة، إذا

ارتكزنا على تعريف تودوروف وديكرو الميث سلفا. و نتيجة للتطورات التي شهدتها البحوث السيميائية الراهنة ، أضحت تتميز السيميائية [مدرسة باريس] بالبحث عن التجليات الدلالية للأنظمة اللسانية و غير اللسانية . تأسيسا على هذا تكون ترجمة عنوان كتاب أن اينو على النحو الآتي: رهانات السيميائية .

و يبقى الإشكال نفسه قائما بخصوص ترجمة مصطلح carré sémiotique المربع الدلالي . ذلك أن الصفة /دلالي/ توضع عموما كمقابل لمصطلح sémantique . وقد قيدنا نفس التداخل في كتاب : "المصطلحات الأدبية المعاصرة" (6) يقدم الأستاذ سعيد علوش الترجمات الآتية:

أ- السيميائية : sémiotique

ب- التحليل السيمي : analyse sémiotique

ج- علم العلامات : sémiologie

د- المستوى السيميولوجي : niveau sémiologique

إذا دققنا النظر في أ و ب ، نلاحظ أن المقابل: التحليل السيمي analyse sémique يحيل على مجموعة من الإجراءات التي تمس الحدود المعنوية للوحدات المعجمية نلمس هذا التوجه في التعريف الذي بناه غريماس على الحدود المفهومية للسيم sème انطلاقا من الأسس النظرية التي وضعها بيرنار بوتتي Bernard Pottier(7): "يهدف التحليل السيمي إلى رد المعاني إلى الحدود السيميائية ، نعني بذلك الشبكات المنظمة للحدود الابتدائية" (8). ويتضمن التحليل السيميائي analyse sémiotique مجموعة من الإجراءات الخاصة بتحليل شكل المضمون انطلاقا من تحديد الصعيدين السطحي [المكون السردى ، المكون الخطابى] و العميق. تأسيسا على هذا ، نلاحظ الفوارق الجوهرية أولى أن يركز الباحث على المنطقات الاشتقاقية في اللغة الهدف ، و تكون محصلة ذلك:

علم العلامات : sémiologie

علاماتي: sémiologique

و مع ذلك ، فإننا نفضل الترجمات الآتية:

المستوى السيميولوجي : niveau sémiologique

السيميولوجيا: sémiologie .

ينبغي أن نشير في هذا المساق إلى وجود تضارب في الترجمات العربية لمصطلحي سيميائية/سيميولوجية و هو ناتج أصلا عن الاختلافات الموجودة في

إشكالية ترجمة المصطلح في البحوث السيميائية العربية الراهنة

البحوث السيميائية الأوروبية بخصوص الموضوع الذي ينبغي أن تستقل به كل ممارسة. حتى نوضح هذه المسألة ، ينبغي أن نشير إلى التصريح الذي أدلى به غريماس في السابع من شهر جوان 1974 في صفحة خصصتها جريدة لوموند Le Monde لعلم الأدلة :

"أعتقد أنه لا يجب أن نولي أهمية للنزاع حول الكلمات في الوقت الذي تنتظرنا فيه أشياء كثيرة. عندما تعلق الأمر منذ ست سنوات [1968] بإنشاء جمعية دولية كان يجب أن نختار بين المصطلحين. تحت تأثير جاكوبسون ، و بالاتفاق مع ليفي ستروس و بنفنيست و بارث و أنا شخصيا، وقع اختيارنا على "السيميائية". غير أن لمصطلح السيميولوجيا جذور عميقة في فرنسا مما أدى إلى الاحتفاظ بالتسميتين (...). بناء على نصيحة هيالمسلاف ، يمكن أن نفهم من السيميائيات البحوث الخصوصية المتعلقة بالمجالات الخصوصية، و تكون السيميولوجيا النظرية العامة لكل هذه السيميائيات"(9).

بناء على الملاحظات السابقة ، نلاحظ أن الترجمة الفاعلة تنطلق، في البداية، أساسا من فهم و تمثل مفهوم المصطلح في اللغة الأصل و ضبط إطاره النظري. إن الابتعاد عن هذه التوجهات الأساسية في العمل الترجمي كثيرا ما يؤدي إلى اضطراب في الفهم مما ينعكس سلبا في عملية تلقي الرسالة على نحو ما نلاحظ ذلك في ترجمة النص الآتي :

Le savoir n'a de sens dans une vie que s'il est un vouloir-savoir ou un faire – savoir , s'il fonde l'activité de l'homme en tant que quête (10)

إن المعرفة لا معنى لها في الحياة إلا إذا كانت إرادة معرفة أو إعطاء معرفة، تأسيس فعالية الإنسان كاستجداء ...

يحدد غريماس في هذا المقطع الشروط الأساسية لوجود المعرفة، و هو وجود يرتهن إلى برنامجين أساسيين :

يتحقق البرنامج الأول بتأسيس فاعل ممتلك لرغبة في الدخول في وصلة بالمعرفة، وعليه، فإن فعله [نشاطه] ينضوي تحت عملية التحري بهدف سد الافتقار réparation du manque.

يتحقق البرنامج الثاني عبر فاعل مالك لرغبة في تبليغ المعرفة. إن غريماس في هذا البرنامج لا يشير إلى الإرادة غير أننا نفترض وجودها إذ لولاها لما امتلك الفاعل الكفاءة لتحقيق الأداء.

يمكن أن نلاحظ أن الباحث ترجم النص ترجمة حرفية دون أن يكثر في ذلك للجوانب النظرية للمصطلح. إن الاستجداء كمقابل لـ quête بعيد كل البعد عن السياق الدلالي الذي سخره غريماس لوضع الشروط الضرورية المؤدية إلى امتلاك أو تبليغ المعرفة ذلك أن الاستجداء في الاصطلاح اللغوي مشتق من :
جدا فلانا و عليه جدوا و جدا : أعطاه .
جدها جديا : سأله الجدوى .
الجدوى : العطية .

اجتداه، استجداه : طلب منه الجدوى. (11)

إن الاستجداء في بعده الدلالي يفتقد إلى الفاعلية و المستجدي يحتل دائما وضع فاعل حالة sujet d'état يكون فاقدًا لموضوع القيمة أو مالكا له من هنا وجب أن نفكر في مصطلح آخر يحقق الفاعلية في منظورهما السيميائي. من خلال معابنتنا للمصطلحية المعتمدة في البحوث السيميائية العربية ، فإننا نرجح استعمال مصطلح التحري لأنه يتوافق ، من جهة ، مع ما ينسب عادة من فاعلية للفاعل المنفذ sujet opérateur ، و ينسجم ، من جهة أخرى ، مع الوحدات المعنوية التي يحملها مصطلح التحري على نحو ما نلاحظ ذلك في اصطلاحه اللغوي :

حرى الشيء تحراه و تحرى عنه : اتجه نحوه(12). إن المسار الدلالي المحقق في /التحري/ يناظر تماما التعريف الذي وضعه غريماس لمصطلح quête. إنه يستعمل للدلالة على تنقل الفاعل في اتجاه موضوع القيمة(13).

من هذه المنطلقات المنهجية، يمكن أن يترجم المقطع المسجل أعلاه على النحو الآتي:
"إن المعرفة لا معنى لها في الحياة إلا إذا كانت رغبة في تلقي أو تبليغ المعرفة، وأسست نشاط الإنسان بوصفه تحري..."

إن الترجمة ، في تقديرنا الخاص ، ينبغي أن تؤدي وظيفتها التواصلية انطلاقا من قراءة النص الأصل و تمثله و فهم مصطلحاته الأساسية في ضوء الإحاطة بأسئقتها النظرية و النظر إليها من زاوية تتيح الوقوف عليها في علاقتها بالمصطلحية المعتمدة في التوجه السيميائي. بهذه الرؤية يكون الفاعل المحلل قد حقق نسبة عالية من الفهم و التأويل لا يسعه في المرحلة الثانية سوى نقل هذه الحمولة المعرفية في اللغة الهدف. وفي هذا الموضع بالذات تبدأ الصعوبة و يطرح السؤال بخصوص الأولوية التي ينبغي أن تعقد في اختيار هذا المصطلح أو ذاك. إن اختيار المصطلح المناسب يتوقف على معاينة المصطلحية المعتمدة في البحوث و القواميس العربية ، و ضرورة الاستناد إلى ما هو شائع منها ، و الاعتماد ، في حالة حدوث الاختلافات بين الدارسين ، على جهود

إشكالية ترجمة المصطلح في البحوث السيميائية العربية الراهنة

الباحثين القدامى في المجالات اللغوية والفلسفية ، و الارتكاز على الإمكانيات الاشتقاقية التي تزخر بها اللغة العربية .

المواضع

¹ (بيار غيرو ، السيمياء ، ترجمة أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت ، باريس، الطبعة الأولى ، 1984، ص. 6-7 عن :

-R.Barthes , Eléments de sémiologie , Communications n0 4.

²) Oswald Ducrot , Tzvetan Todorov , Dictionnaire en cyclopédique des sciences du langage, Seuil , Points , 1972, p.113.

³) أن إينو ، مراهنات دراسة الدلالات اللغوية ، ترجمة د.أوديت بتيت و د.خليل أحمد، دار السؤال للطباعة و النشر ، دمشق ، 1980.

4) Anne Hénault, Les enjeux de la sémiotique, P.U.F, Paris, 1993.

⁵ نذكر على سبيل المثال معجمي :

-الجواهر أبو نصر بن حماد، الصحاح في اللغة و العلوم، دار الحضارة العربية ، بيروت ، 1974، مادة سوم ، ص.631.

-الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، المؤسسة العربية للطباعة و النشر ، ج.4 ، ص.135.

6) د.سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، منشورات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، 1984.

⁷) رشيد بن مالك ، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص ، دار الحكمة، الجزائر ، 2000.

⁸) المرجع نفسه .

⁹) المرجع نفسه، ص.184/185.

¹⁰) A.J.Greimas in Anne Hénault, Les enjeux de la sémiotique, P.U.F, Paris 1993 , p.5.

11) إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، استانبول، تركية ، 1989، مادة:جدا.

12) المرجع السابق ، مادة : حرى.

13) A.J.Greimas , J.courtés , Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette , Paris , 1979 , p.305

مكتبة البيت

- الجوهري أبو نصر بن حماد، الصحاح في اللغة و العلوم ، دار الحضارة العربية ، بيروت ، 1974 ، مادة سوم ، ص.631.
- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، المؤسسة العربية للطباعة و النشر ، ج.4 ، ص.135.
- إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، استانبول،تركية ، 1989.
- رشيد بن مالك ، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2000.
- جبير جبرو ، علم الإشارة ، السيميولوجيا، ترجمه عن الفرنسية الدكتور منذر عياشي، ط1 ، دمشق ، دار طلاس ، 1988..
- بيار غيرو ، السيمياء ، ترجمة أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت ، باريس، الطبعة الأولى ، 1984.
- آن إينو ، مرانجات دراسة الدلالات اللغوية ، ترجمة د.أوديت بتيت و د.خليل أحمد ، دار السؤال للطباعة و النشر ، دمشق ، 1980.
- سعيد علوش ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، منشورات المكتبة الجامعية ، الدار البيضاء ، 1984.
- A.J.Greimas , J.courtés , Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette , Paris , 1979.
- Pierre Guiraud, La sémiologie, P.U.F . Paris , 1973.
- Anne Hénault, Les enjeux de la sémiotique, P.U.F, Paris ,1993.